

## الشاذلى، يُحدث أزمة دبلوماسية فى الكونغو

استطاعت

مصر بمساعدة السوفييت أن تبدأ مرحلة الستينيات من القرن العشرين بقوة عسكرية جديدة أشعرت الرئيس عبدالناصر بقدرته على مواجهة التحديات الخارجية خاصة بعد أن نال شهرة كبيرة فى زعامته للأمة العربية بعد مساندته لثورات التحررية فى الدول العربية وكذا الدول الإفريقية والتي كان من بينها الحركة التحررية فى الكونغو برئاسة (باتريس لومومبا) عام ١٩٦٠م. ومن أجل مساندة مصر لشعب الكونغو فى حركته التحررية، تم تشكيل كتيبة عربية شاركت فيها الدول العربية لتنفيذ مهام تابعة للأمم المتحدة لمساندة ثورة (لومومبا) هناك، واختار الرئيس عبدالناصر وقتها العقيد «سعد الشاذلى» قائدا للكتيبة العربية، لكفائته وتميزه وثقة الرئيس عبد الناصر فى أدائه.

وهناك تمركزت الكتيبة العربية فى منطقة (ليبىفى) وهى مستعمرة صغيرة فى أقصى الشمال الغربى للكونجو، وتبعد عن العاصمة (كنشاسا) ١٠٠٠ كم، وتبعد عن مصر ٥٠٠٠ كم، وكانت الكتيبة العربية بقيادة العقيد «الشاذلى» مسئولة عن حماية مساحة ضخمة تعادل دولة سوريا تقريبا، ولم يكن «الشاذلى» يدري وقتها أن تجربته فى الكونغو ستحمل إليه الكثير من المتاعب والمفاجآت فيما بعد.

## مفاجأة رائعة من الرئيس عبدالناصر

كانت أولى مفاجآت الكونغو هي صرف ٥٠ ألف دولار للكتيبة العربية وإيداعها باسم العقيد «سعد الشاذلي» في أحد بنوك الكونغو بأمر من الرئيس عبدالناصر لينفق منها «الشاذلي» على الكتيبة العربية هناك دون أدنى قيود تحسبا لأي ظروف قد تطرأ عليه، وذلك برغم أن «الشاذلي» كان قد قام بتجهيز الكتيبة المصرية تجهيزا دقيقا بكل شيء، والأمم المتحدة تحملت كل نفقات الإقامة والانتقالات ولم يكن في حاجة لهذا الدعم المادي إلا إنها كانت لفترة تعكس مدى حرص الرئيس على الكتيبة العربية وتعكس أيضا ثقة الرئيس الخاصة وتقديره للعقيد «سعد الشاذلي».

وكانت تجربة «الشاذلي» في الكونغو تجربة ثرية وعلامة في مشوار حياته العسكرية عرف فيها الكثير بالاحتكاك المباشر مع القوات الأجنبية هناك، وتعرف على إمكانياتهم العسكرية وأسلحتهم الجديدة وتفكيرهم العسكري، ولكن على الجانب الآخر كانت هناك الكثير من المتاعب التي كان عليه مواجهتها. وكانت أولى هذه المتاعب زيارة العميد (أحمد إسماعيل على) للكتيبة العربية هناك بحجة تفقد أحوال الكتيبة العربية والتعرف إلى مطالب الرئيس (لومومبا)، لكنه انتهزها فرصة للتدخل في عمل العقيد «الشاذلي» متخذًا من رتبته العسكرية الأعلى من رتبة «الشاذلي» سبيلا للتدخل في عمله، فكان

الصدام عندما اعترض «الشاذلي» على تدخله ورفض توجيهاته، واتصل بالسلطات في مصر لإبلاغهم بما حدث بينه وبين أحمد إسماعيل حتى انتهى الخلاف بعودة العميد أحمد إسماعيل ومجموعته إلى مصر، وكانت هذه الواقعة سببا في بداية توتر العلاقة بين «الشاذلي» وأحمد إسماعيل وتركت في نفس كل منهما أثرا سلبيا.

كيف واجه الشاذلي مأزق تغيير السلطة في الكونغو؟

وعلى غير توقع من الجميع حدث انقلاب أطاح بالرئيس (لومومبا) الذي كانت الكتيبة العربية مكلفة بحماية ثورته ليحل محله الرئيس (موبوتو) لتغيير بوضله إلى السلطة موازين الأمور خاصة بعدما عاد (موبوتو) للاستعانة ببلجيكا، وأسرف في مهاجمته للرئيس جمال عبد الناصر وصرح برفضه لتواجد الكتيبة العربية على أرض بلاده (الكونغو) ووصفهم بالاستعميرين والمحتلين، وألحق الأذى بكل من كان يتقرب من الكتيبة العربية من أهل الكونغو أو يقدم لها العون والمساعدة، وأرادت السلطة الجديدة بذلك إحداث وقية بين شعب الكونغو وقواتنا العربية المرابطة على أرضه حتى بدا واضحا عداء الحكم الجديد لمصر.

وبالرغم من أن الكتيبة العربية أتت إلى الكونغو تحت علم الأمم المتحدة فإن العقيد «الشاذلي» لم ينس في مواجهة هذه التغييرات أنه

تابع للنظام فى مصر، فلما استشعر العداء من الرئاسة الجديدة ضد مصر بدأ يحتاط لحماية قواته تحسبا لما قد يجد من أحداث، ونصح جنوده وضباطه بضبط النفس، لما رأى أن أى رد من جانب قواته العربية على استفزاز (موبوتو) ستكون نتيجته معركة سيخسر فيها «الشاذلى» ما كسبه من تأييد شعب الكونغو ومساندته للكتيبة العربية على أرضه. اضطر «الشاذلى» لسحب قواته العربية سرا وبحذر شديد بمعدل ٢٠ جنديا عربيا فى كل مرة فى انسحاب سرى تدريجى وبطىء؛ ليعسكروا بالقرب من مطار (ليبىفى) ليسهل إقلاعهم فى أى وقت تحسبا لتغير الظروف أو صدور أوامر بالانسحاب لليفوت «الشاذلى» على (موبوتو) مكائده ضد القوات العربية، إلا أن الجنرال (فينهور) قائد قوات الأمم المتحدة شعر بتحركات قوات «الشاذلى» وعسكرتها بالقرب من المطار، فأمر «الشاذلى» بسحب قواته العربية من منطقة المطار وفورا، وبسبب إحساس «الشاذلى» بالخطر على قواته العربية رفض أوامر (فينهور) واحتدم الخلاف بينهما (الشاذلى وفينهور)، وأمام إصرار «الشاذلى» وتمسكه برأيه اضطر (فينهور) إلى تهديد «الشاذلى» بتقديمه للمحاكمة لأنه لم يضع فى اعتباره تبعيته للأمم المتحدة بينما «الشاذلى» لم تنسه تبعيته للأمم المتحدة أنه تابع لمصر ومسئول عن حماية الكتيبة العربية، وأنه الوحيد صاحب القرار السياسى والعسكرى فيما يخص قواته أثناء تواجدهم فى الكونغو، وأمام إصرار كل منهما على

رأيه (فينهور والشاذلي) تصاعد الصدام بينهما فى وقت لم تكن فيه السلطة السياسية فى مصر تعلم بهذا الخلاف الذى تصاعد يُحدث مشكلة سياسية تطورت إلى أزمة دبلوماسية.

وأخبروا «الشاذلي» وقتها بترتيب لقاء سيتم فى مساء نفس اليوم، يجمع بين «الشاذلي» وبين الممثل المدنى للأمين العام للأمم المتحدة (همرشلد) بحضور د.مراد غالب السفير المصرى هناك، والذى حضر خصيصا من (كنشاسا) عاصمة الكونغو لمناقشة هذه المشكلة، مما أشعر «الشاذلي» بالحرَج، فما كان يريد إحراج السفير (غالب) فى مشكلة «الشاذلي» هو المسئول عنها وقادر على مواجهة تبعاتها، ولكن كانت هذه هى الترتيبات التى حددها مسئولو الأمم المتحدة.

ولما حان وقت اللقاء وبينما كان «الشاذلي» يرتب فى عقله الحجج والبراهين التى سيدافع بها عن وجهة نظره، فوجئ بأن (همرشلد) (وغالب) كانت تجمعهما معرفة سابقة بالأمم المتحدة وبدلا من الحديث عن الأزمة الدبلوماسية التى تسبب فيها «الشاذلي» أخذ (همرشلد) (وغالب) يسترجعان ذكرياتهما الدبلوماسية القديمة التى تركت أثرا طيبا فى نفس كل منهما وأسرفا فى سردها وكأنهما فى زيارة ودية ليس لها علاقة بمشكلة «الشاذلي» حتى طالعت جلستهم قرابة الساعتين و«الشاذلي» يترقب مناقشة الأزمة التى أحدثها، ولكن انتهت المقابلة دون أن يتطرق حديثهما (غالب) (همرشلد) إلى مشكلة «الشاذلي» التى أتيا لمناقشتها.

وعند انصراف السفير غالب سأل «الشاذلي» بقلق عن السبب في عدم مفاتحة (همرشلد) في المشكلة، فإذا به يستقبل قلق «الشاذلي» بابتسامة هادئة وكان الأمر ما كان يعنى غالب ولا همرشلد، وأخبره أن مثل هذه المشاكل تخص جهات عليا فربما تحدث فيها عبد الناصر مع همرشلد شخصيا ليتخذا بشأنها القرار المناسب فيما بعد، ونصح «الشاذلي» بعدم القلق أو الاكتراث بهذه المشكلة، وانصرف تاركا «الشاذلي» مع دهشته من نتائج المقابلة.

وبالفعل بعد ثلاثة أيام حدث ما توقعه السفير غالب وصدرت الأوامر من الرئيس عبدالناصر بانسحاب الكتيبة العربية من الكونغو ليلتقى بذلك القرار السياسى لعبدالناصر مع الرؤية العسكرية للعقيد «الشاذلي» فى الانسحاب فكانت هذه الواقعة هى أول حدث دبلوماسى كان العقيد «الشاذلي» طرفا فيه وكان له دخل بالأمر السياسى بين البلاد. وبعد ١٦٣ يوما قضتها الكتيبة العربية هناك عادت القوات المصرية بسلاحها وعدتها وعتادها و٥٠ ألف دولار منحة عبد الناصر، لم يحتج «الشاذلي» أن ينفق منها شيئا وبذلك لم تتكلف مصر أى أعباء أو خسائر فى الكونغو. وانتهت تجربة «الشاذلي» فى الكونغو بعد أن تركت علامة مميزة فى مشواره العسكرى وكشفت عن حرصه على مصالح قواته حتى لو عرضه ذلك للمتاعب، وعاد «الشاذلي» إلى مصر ليبدأ مهمة عسكرية جديدة فى دولة اليمن كانت فى انتظاره ولم تكن فى حسبانته.

(من الأرشيف الصحفى تجربة الشاذلي من حديث للعقيد الشاذلي فى مجلة الصور بعد عودته من الكونغو ١٩٦٠م).

## الشاذلى، فى حرب اليمن

فى منتصف الستينيات كان الرئيس عبدالناصر يولى اهتماما كبيرا بثوار اليمن، فكان الجيش المصرى يمدهم بالأسلحة ويتولى تدريبهم على القتال فى محاولة لمساعدتهم على التحرر. وفى مهمة عسكرية جديدة سافر العميد «سعد الشاذلى» إلى دولة اليمن آنذاك عام ١٩٦٥م قائدا للواء يتراوح عدده ما بين ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ضابط وجندى لمساعدة الثوار، وهناك وجد أنه أمام حرب غير متكافئة القوى، فلم يجد هناك جيشا منظما فى مواجهته لمحاربهته بالأسلحة، إذ كان العدو يفتقد النظام القتالى فاكتشف «الشاذلى» أنه سيواجه حربا كانت أقرب لحرب العصابات منها للحرب المتعارف عليها بالمواجهة بالأسلحة كان العدو يلجأ فيها للحيلة لمحاربة الجيش المصرى ومقاومته، ولجأ إلى قتل جنودنا المصريين بطرق أخرى غير المواجهه بالأسلحة، فكان يقوم العدو أحيانا بزرع الألغام فى الطرق التى كان الجيش المصرى يسير بها ليصيب منه الكثيرين، وأحيانا أخرى كان يقوم بقطع الطرق على اللوارى والناقلات التى كانت تحمل إلى الجيش المصرى الإمدادات التى كانت تأتيتهم من مصر عبر جدة بالبحر حتى تصل إليهم فى صنعاء، فكان العدو يقوم بقطع الطريق عليها ويقوم بنهبها والاستيلاء عليها قبل أن تصل إلى القوات المصرية! وساعدت الطبيعة الجبلية فى اليمن العدو على تحقيق ذلك. فكانت قواتنا المصرية تواجه هناك الكثير من

المقاعب غير المتوقعة، واستنزفت حرب اليمن الكثير والكثير من عُدّة وعتاد الجيش المصري آنذاك.

وعلى الرغم مما تكبدته مصر من خسائر هائلة في حرب اليمن فإن الفريق «الشاذلي» وجد في تجربة حرب اليمن مكاسب معنوية كثيرة قال عنها في إحدى تسجيلاته :

«مكاسب الحرب في اليمن كانت مكاسب سياسية أولها سقوط نظام رجعي متخلف كان يحكم اليمن بنظام القرون الوسطى لتنتقل اليمن بتحورها إلى نظام القرن العشرين وتدخل في النسيج العربي الحديث، ووجود القوات المصرية هناك عجل باستقلال عدن عن بريطانيا فعجل بدوره باستقلال الدول المجاورة مثل سلطنة عمان والإمارات والبحرين والكويت، وعجل برحيل الاحتلال البريطاني عن هذه المنطقة العربية لما وجد أن استمراره في احتلالها سيكبده الكثير، فالمستعمر عادة يبحث عن احتلال بلا خسائر. ولم تكسب مصر من حرب اليمن أية مكاسب مادية لكن مكاسبها كانت مؤجلة، جنيناها على المدى البعيد في حرب ١٩٧٣م عندما كانت قواتنا البحرية متمركزة عند مضيق باب المندب وساعدتنا اليمن وقتها في إغلاقه أمام الإمدادات المارة إلى إسرائيل، ولولا رصيدنا لديهم في حرب اليمن ١٩٥٦م ونجاحنا في مساعدة شعبها على الاستقلال ما كان تعاونهم معنا في حرب ١٩٧٣م وكذلك إمدادهم لنا بالمال وما حصلنا عليه من مساهمات من العرب

وصلت إلى ١٧ مليار دفعتها الدول العربية للسادات في حرب ١٩٧٣م  
كل ذلك كان حصاد مساندة مصر لهم في حركاتهم التحريرية»  
ويبقى سؤال: هل كانت هناك صلة مباشرة بين وجود قواتنا  
المصرية للحرب في اليمن وبين هزيمة جيشنا في حرب يونيو عام  
١٩٦٧م (حرب النكسة)؟

